المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN:2710–8139

المجلد : **10** /العدد : **04** (2023)، ص 203 –ص 220

العالم الافتراضي... إسقاطاته وتحولاته وعلاقته بالعالم الواقعي

قراءة مفاهيمية وسوسيولوجية للباحث: PIERRE LEVY

The virtual world... its projections, transformations, and its relationship to the real world

A conceptual and sociological reading of the researcher: Pierre Levy

بدرالدين زمور *[1] ، عراب آيت طيب[2]

[1] جامعة البليدة 2 لونيسي علي (الجزائر)، eb.zemmour@univ-blida2.dz

[2]جامعة الجزائر3 (الجزائر)، ayatarabe1@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/07/19 **تاريخ القبول:** 2023/09/22 **تاريخ النشر:** 2023/12/31

DOI: 10.53284/2120-010-004-013

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على موضوع العالم الافتراضي ،ومدى الصراع المحتدم بينه وبين العالم الواقعي ،وكيف تحول الافترضان من مجرد وافد رقمي وتواصلي،إلى بؤرة لخلق صراعات حضارية وفردية وجماعية بين الشعوب ،حيث قدم الباحث الفرنسي PIERRE LEVY صاحب الكتاب المشهور *عالمنا الافتراضي ماهو ؟وما علاقته بالواقع؟ العديد من القراءات التي تدافع عن العالم الافتراضي وتنفي عنه كل المخاوف التي يزرعها الخصوم فيه ،على غرار الباحث ROY ASCOTT و الباحث PAUL VIRILIO وغيرهما كثير ،وقد حاولنا قدر المستطاع أن نقدم رؤية تحليلية لما تقدم به LEVY ضمن حدود بحثية غير مشخصنة ،بل تخضع لنقاشات دولية سبقنا إليها الكثير من المفكرين والدارسين لحقل العلاقات السببية في مجال الدراسات الاتصالية والسوسيو اتصالية ،حول تأثير العالم الافتراضي أو السيبراني على حياة البشر ككل.

كلمات مفتاحية: العالم الافتراضي، الإسقاطات،التحولات،العالم الواقعي

Abstract:

Through this research paper, we seek to shed light on the subject of the virtual world, the extent of the raging conflict between it and the real world, and how assumptions transformed from a mere digital and communicative newcomer, into a focal point for creating civilized, individual and collective conflicts between peoples. Accordingly, the French researcher Pierre Levy, author of the famous book “What is our virtual world? And what is its relationship to reality?” presented many readings that defend the virtual world and deny all the fears that its opponents sow in it. Among these opponents the researcher ROY ASCOTT and the researcher PAUL VIRILIO and many others. We have tried as much as possible to provide an analytical vision of what LEVY has presented within the limits of research that are not personalized. Indeed, this research will present international discussions that many thinkers and scholars in the field of causal relationships preceded us in the domain of communication and socio-communicative studies, about the impact of the virtual or cyber world on human life as a whole.

*المؤلف المرسل

Keywords: the virtual world, projections, transformations, the real world

1. مقدمة:

ثمة قلق كوني من تنامي وسيطرة العالم الافتراضي بكل ثقله وجدلياته واديولوجياته على مناحي الحياة المتشعبة، خاصة ما ارتبط منها بالحياة العامة التي تدور فيها مجمل حلقات الممارسة الإنسانية والاجتماعية المتعددة الدلالات والسياقات والأبعاد، وما إذا كانت تتشكل من واقع مجرد أو من خلال تداخلات في بنية الجماعات وأفكار الأفراد اللامترابطين واقعيا، والممارسين فعليا ضمن فضاءات الافتراضي. وبناءا على هذا التأسيس يقول GILLES DELEUZE في كتابه " Différence et répétition يملك الافتراضي واقعا كاملا بصفته افتراضيا " فالعالم الافتراضي على هذا الاساس اصبح يشكل واقعا موازيا للواقع الحقيقي، طالما أن ما يحركه ينبع وينتج من الواقع بحد ذاته، حيث يضيف ROY ASCOTT في نظرة تشاؤمية حول واقع الواقع الافتراضي بقوله " أن الواقع الافتراضي مفسدة والواقع المطلق مفسدة قطعا" وإن كنا نختلف مع هذا الطرح الذي اتخذ من التعميم سندا ذرائيعيا له فإننا نقول أن الواقع الافتراضي الذي يتمثل في الطفرة التكنولوجية والمعرفية في مجال الاتصال وشبكات العلاقات الانسانية والدولية فإنه يبقى سلاحا ذو حدين تتحكم فيه نزعة الانسان نحو معرفة الاخر دونما الهجرة من واقع الواقع نحو واقع المواقع الذي تتشكل بنيته في العالم الافتراضي وصراعاته مع العالم الواقعي،ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على موضوع غاية في الاهمية من حيث أبعاده التقنية والفنية ،وكذلك أبعاده السوسيولوجية والسوسيواتصالية والسوسيوثقافية ،حيث ان أهداف هذه الدراسة جاءت في سياق التطورات المتسارعة التي طبعت المشهد الاتصالي العالمي ، ولعل الهدف المنشود من خلال هذا البحث هو الوقوف على حجم التأثير الذي تمارسه سلطة العالم الافتراضي على الواقع ،وكذلك المخاطر المبررة التي أطلقها الخبراء وعلماء الاتصال والسوسيولوجيا حول ظاهرة انقراض الثقافات وتقلصها واقعيا وهذا ما سنتطرق إليه من خلال تحليل وقراءة ما قدمه PIERRE LEVYمن حجج وبراهين حول احقية العالم الافتراضي في الوجود ضمن شبكة العلاقة بين الذكاء الاصطناعي و الوجود الانساني على حد سواء،مستعينين بمنهج الاستقراء،الذي ساعدنا على قراءة الابعاد المفاهيمية وإسقاطها على موضوعنا بما يسهل تفعيل آليات بناء الموضوع وتشعباته، ومن هنا وعلى هذا الاساس طرحنا الاشكالية البحثية التالية : هل من الممكن ان يلغي العالم الافتراضي العالم الواقعي من الوجود وما هي حدود ذلك الإلغاء ضمن سياقات الأنا والآخر ؟

2.نحو إعادة قراءة ومفهمة العالم الافتراضي كما يراه LEVY :

يقول LEVY في مستهل دفاعه عن العالم الافتراضي بقوله: " هل علينا أن نخشى الانفصال العام عن الواقع؟ أم نخشى نوعا من الاختفاء الشامل عن الواقع كما اقترح ذلك JEAN BAUDRAILLAND ؟ هل نحن معرضون لخطر قيامة ثقافية أم لانهيار داخلي مخيف للزمكان كما تنبأ به PAUL VIRILIO منذ عدة سنوات ؟".

يدافع الكثير من المفكرين والكتاب عن فرضية غير كوارثية من خلال التطورات الثقافية الجارية في منعطف الألفية الثالثة، بالرغم من مظاهرها القاتمة أو المخيفة التي لا يمكننا إنكارها، وهنا يجري الحديث عن مفهوم البشرنةL'HOMONIZATION كمرادف

لتجليات الافتراضي وما هو حاصل فيه من امتدادات للعلاقات الانسانية في بعديها الانساني والثقافي أو ما يعبر عنه بصورة مغايرة بالمثاقفة أو فعل التثاقف ضمن التناسج الجمعي للشعوب أو بصورة اخرى "الآخر" كما يراه "الأنا"**(ليفي، 2018، صفحة 10)**.

إن الحديث عن العالم الافتراضي ليس وليد اليوم بل تمتد جذوره لسنوات خلت، حيث عبر عنه الكثير من الباحثين وبصيغ مختلفة، فنجد مثلا من وصفه أي العالم الافتراضي بأنه الحقيقة الافتراضية على غرار الباحث BERNARD JOLIVALT من خلال كتابه LA REALITE VIRTUELLE أو الواقع الافتراضي حيث وصفه بأنه عبارة عن منهجية ولدت من علم الكمبيوتر والبصريات والروبوتيك، وخرجت الى الكون الذي نتطور فيه، إنها تضيف مساحة إلى الواقع دون التدخل فيه، الحقيقة الافتراضية هي رحلة الى عالم غير محتمل ناشئ عن البيانات الرقمية المخزنة في الكمبيوتر، إنه في الواقع " لا مكان " ورحلة إلى " أي مكان "**(JOLIVALT, 1996, p. 03)**.

وقد نجد بعض الاتفاقات التي تتوحد نوعا ما في الرؤى حول وجودية الزمن الافتراضي ومحاولة " وقعنته " أي اعطائه صفة الوجود الواقعي حتى ولو كان افتراضيا كردة فعل على من يهاجمونه ويصفونه بالشر المطلق، في حين أنه يعبر عن واقع تمارسه المؤسسات والشعوب والأفراد كوافد أفرزته التطورات البشرية في مجال التقنية والذكاء الاصطناعي، ويرى كل من JACQUES THEYS و PASCAL BAIN و SEBASTIEN MAUJEAN أن الواقع الافتراضي يسمح بوجود مساحة جديدة للاتصال، فهو يعزز فضاء الانثروبولوجيا من خلال تنمية " الذكاء الجماعي " الذي يعمل على ازدهار متزامن للهويات والروابط الفردية والاجتماعية والديمقراطية، كما أن الواقع الافتراضي قلص من المسافات والتنقلات من خلال التقنيات الافتراضية والتي سهلت على المجتمعات الريفية عناء التنقل إلى مسافات بعيدة، وسهل الولوج إلى المؤتمرات (عبر الفيديو، اتصالات الانترنيت، أنظمة تحديد المواقع عن بعد،...). إذا الواقع الافتراضي هو اعادة هيكلة للواقع الحقيقي من خلال التقنيات الاتصالية الحديثة**(THEYS, 2005, p. 08)**.

إن هذه التحليلات على اختلافاتها وحمولاتها الاديولوجية والفكرية تعبر بشكل أو بآخر عن مفهوم ظهر بعد مفهوم الواقع الافتراضي كامتداد تراكمي لما افرزته تكنولوجيا الاعلام والاتصال. حيث يرى الباحث (صلاح سروري) أن المثاقفة أو فعل التثاقف عبر الوسائط الاتصالية الجديدة اخذ أبعادا تأثيرية على النسق الهوياتي للمجتمعات المتثاقفة وطرح تساؤلا جوهريا حول ما إذا كانت الشعوب داخل هذا النسق الافتراضي تعمل فعلا على عملية التبادل الثقافي بدلا من ممارسة الاستلاب الفكري والتقني، أو ممارسة القهر والانجذاب نحو العالم الافتراضي المتشعب في محتوياته ومضامينه بين سلبياته و ايجابياته، فالشعوب التي لا تملك غطاءا ثقافيا يسهل اختراقها ضمن هذا الفضاء الاتصالي والتقني، ويمكن أن يصل إلى مرحلة (صدام الحضارات) القائم على شهوة القوة وامتلاك التقنية، فمن يمتلك التكنولوجيا ووسائل الانتاج وصناعة المضامين الثقافية هو من يحق له أن يقود الشعوب ويأخذ بناصيتها، خاصة إذا تعلق الامر بسؤال الهوية**(السروري، 2012، صفحة 16)**.

3.العالم الافتراضي، فضاءات جديدة وسرعات جديدة

لم يبدأ الافتراضانVIRTUALIZATION بتعبير LEVY أو العالم الافتراضي بالانفكاك عن وسط خاص مع الإنسان، بل إنه موجود في قصة الحياة نفسها، فمن وحيدات الخلية إلى الطيور والثدييات، فتحت تحسينات الحركة بحسب JOSEPH

REICHHOLF فضاءات أكثر اتساعا دوما، وإمكانات متزايدة لوجود الكائنات الحية، إن ابتكارا يشكل سرعات جديدة يعد الخطوة الأولى للافتراضين.

لاحظ REICHHOLF أن عدد الأشخاص الذين ينتقلون عبر المحيطات في فترات العطل في عصرنا يفوق العدد الإجمالي للرجال الذين شاركوا في الغزوات الكبيرة، ويتزامن تسارع الاتصالات مع الزيادة الكبيرة في الحركية الفيزيائية، ويتعلق الأمر في الواقع بالموجة الافتراضية نفسها. تعتبر السياحة اليوم الصناعة الأولى في العالم من حيث رقم الأعمال، ويتجاوز الوزن الاقتصادي للنشاطات التي تدعم وظيفة التنقل الفيزيائي وتحافظ عليها (عربات، بنى تحتية، وقود) بكثير ما كان عليه في القرون الماضية، ويتساءل LEVY في ذات السياق بقوله " هل سيحل تكاثر وسائل الإعلام وزيادة سرعات الاتصال محل الحركية الفيزيائية ؟"، لا نعتقد ذلك. لأن هاتين الزيادتين كانتا متوازيتين حتى تاريخ اليوم. إن الأشخاص الذين يتواصلون هاتفيا بشكل أكبر هم أيضا من يجتمعون بأكبر عدد من الأشخاص بلحمهم ودمهم، ونؤكد مرة أخرى أن فيض الاتصالات وانتشار النقل السريع يساهمان في حركة افترضان المجتمع نفسها وفي الجهد نفسه للخروج من ال "هنا". لنتذكر من خلال طرح مفهوم الخروج من ال " هنا "، بأن الافترضان لا يكتفي بتسريع عمليات معروفة سابقا أو تهميش الزمن أو الفضاء أو حتى إلغائهما كما يدعي PAUL VIRILIO بل إنه يبتكر على الرغم من النفقات والمجازفة سرعات نوعية جديدة وأمكنة وأزمنة متبدلة**(ليفي، 2018، الصفحات 25-26)**.

ويشير PIERRE LEVY في كتابه إلى مصنف MICHEL SIRE والموسوم ب (ATLAS) حول موضوع العالم الافتراضي على أنه " خارج هذا المكان "، فالخيال والذاكرة والمعرفة والدين إن هي إلا نواقل " افترضان " دفعتنا لترك " هذا المكان " قبل المعلوماتية والشبكات الرقمية بكثير، إن مؤلف كتاب ATLAS وهو يدرس هذا الموضوع يستأنف بشكل غير مباشر جدلا ضد فلسفة (HIDGER) المتعلقة ب " الوجود هنا l'être-là ".

إن عبارة " الوجود هنا " هي الترجمة الحرفية للعبارة الألمانية (DASEIN) التي تعني وجودا في اللغة الألمانية الفلسفية الكلاسيكية، ووجودا إنسانيا محضا أن تكون كائنا إنسانيا عند HIDGER لكن أن لا نكون جزءا من أي " هنا "، فنطارد حيزا لا صفة له (أين توجد المكالمة الهاتفية؟)، وأن لا يحدث أي شيء إلا بين أشياء واضحة المواضع، أو أن لا نكون "هنا " فحسب ككل إنسان مفكر، فذلك غير مانع من الوجود. وعلى الرغم من أن الاشتقاق لا يثبت شيئا فإننا نشير إلى أن فعل كان بالفرنسية (exister) يأتي تحديدا من اللغة اللاتينية (sistere) التي تعني أن يكون موضوعا، والسابقة (ex) التي تتصدره تعني خارج أو الخروج من " الهنا "، ومن هنا تبدو الأمور وكأن اللغة الألمانية تشير إلى التفعيل واللاتينية إلى الافترضان**(ليفي، 2018، الصفحات 21-22)**.

في ذات السياق يقول الباحث STEPHANE BASTIEN في كتابه L'existenceHumaine عن قضية الوجود الإنساني كعامل من عوامل تحديد الذات الموجودة في زمانها ومكانها، فهو يقول مثلا " أن وحدة الشخص أو الإنسان ليست أولية ولا ابتدائية ولا منتهية نهاية قطعية لأنها تنطلق من مسلمة أساسية وهي حياة الإنسان بحد ذاته ". وهي الفكرة نفسها التي يتشارك فيها مع المفكر FRANCIS JACQUES في كتابه Différence et subjectivité**(Bastien, 2006, p. 39)**.

إن المعنى من وراء هذا الاقتباس أن الوجود الإنساني ضمن العوالم الافتراضية يتحدد وفقا لوحدة الزمان والمكان المرتبطان بالعنصر الأساس وهو الفعل الناتج عن الإنسان المرتبط بالواقع، هذا الإنسان الواقعي الذي يتحول إلى الافتراضي عن طريق المشاركة مع الآخر في لحظة " الأنا " وتداخلاتها مع " الآخر "، وهنا يقع فعل " التجاسر " الذي يحيل الإنسان إلى نقطة " اللحظة المفعلة آنيا "، والمعاشة بفعل افتراضي ولكن بأدوات الواقع التي يحركها الإنسان الموجود بفعل التقنية " المعززة "، وهو ما عبر عنه DOMINIQUE NOELE عند وصفه العالم الافتراضي بالعالم المعزز بالحقيقة الواقعية، فالإنسان حسب NOELE يعيد تشكيل نفسه ويعيد تشكيل العالم من خلال نمذجة الإنسان وموقعته مع العوالم الاصطناعية**(Noél, 1999, p. 90)**.

4. الافتراضي أو نمط الاسقاطات

يقول LEVY إن الوظيفة المعاكسة للإدراك هي إسقاط الحركة والصورة على العالم، ويرتبط إسقاط الحركة حتما بالآلات وشبكات النقل ودارات الإنتاج، ونقل الطاقة والأسلحة، وفي هذه الحالة يشترك عدد كبير من الأشخاص في الأذرع الافتراضية الضخمة والمهجرة، ولا داعي للتوسع مطولا في هذه الناحية التي تتعلق تحديدا بتحليل الظاهرة التقنية.

يرتبط إسقاط صورة الجسد عموما بمفهوم الوجود (l'existence) عن بعد، لكن الوجود عن بعد هو دوما أكثر من مجرد اسقاط للصورة، يعمل الهاتف مثلا كجهاز وجود عن بعد فلا ينقل صورة أو تمثيلا للصوت فحسب بل ينقل الصوت نفسه، يفصل الهاتف الصوت (أو الجسم الصوتي) عن الجسم الملموس وينقله بعيدا، جسمي الملموس كائن " هنا "، وجسمي الصوتي المضاعف موجود " هنا وهناك "، ويفعل الهاتف شكلا جزئيا من الانتشار الواسع وبدوره يصاب الجسم الصوتي للشخص المتحدث معي بالإزدواج نفسه، بحيث إن كلينا موجودان هنا وهناك ، لكن مع تقاطع في توزيع الأقسام الملموسة.

إن أنظمة الحقيقة الافتراضية تنقل أكثر من صورة، إنها تنقل شبه - حضور - فالمستنسخون الذي هم عوامل مرئية أو دمى افتراضية نتحكم فيها بحركاتنا بإمكانها أن تؤثر في دمى أخرى تغيرها ضمن عوامل مرئية، بل بإمكانها أن تشغل أجهزة " حقيقية " عن بعد وأن تؤثر في الحياة العادية، حيث يتم نقل بعض وظائف الجسم كالمقدرة على استخدام الأيدي المرتبطة بالدارة الحسية الحركية في الزمن الحقيقي بعيدا عن سلسلة طويلة، تقنية معقدة، يتحسن التحكم بها تدريجيا في بعض الأوساط الصناعية**(ليفي، 2018، الصفحات 30-31)**.

إن أكبر دليل على ارتباط والتقاء الافتراضي بالواقعي أو بصورة أخرى اجتماع الواقع بالمخيال الافتراضي هو ما يحدث في عالم التقنية المرتبطة بالمجال الطبي، فبعد أن كانت بعض الحالات المستعصية استشفائيا لبعض المرضى الذين يضطرون للسفر لمسافات بعيدة لإجراء عمليات جراحية معقدة ومكلفة، أصبحت الكثير من العمليات الجراحية تجرى عن بعد وبصورة دقيقة إلى أبعد الحدود عن طريق تقنية الروبوتيزم المتطورة والتي تحاكي الحركة الفيزيائية لليدين في الزمان والمكان نفسه، وكأن الطبيب الجراح يقوم بفعله الجراحي وهو في غرفة الجراحة مع المريض، رغم أن المريض يبعد عنه آلاف الكيلومترات ،فبمجرد تحريك الطبيب ليديه تتفاعل معه أجهزة حساسة مصاحبة لحركة اليدين ضمن تقنيات متطورة مبنية على دارات إلكترونية معقدة

يصاحبها فعل فيزيائي حقيقي تسيره حساسات إلكترونية تقلد حركة الإنسان بشكل يدعو للدهشة، إنه الوجود الفيزيائي الحقيقي ضمن فضاء افتراضي يجمع الواقع والخيال العلمي في بوتقة واحدة.

5. الافتراضي وأشكلة التحولات

يتساءل PIERRE LEVY" مرة أخرى ما الذي يجعل الجسم مرئيا ؟ إنه سطحه، الشعر والجلد وبريق النظر " بيد أن الصور الطبية تتيح النظر إلى داخل الجسم من دون ثقب الجلد الحساس أو تقطيع الأنسجة، وكأنما تظهر بشرات أخرى وأدماتمظمورة وسطوح غير متوقعة آتية من أعماق الجسم.

تقوم الأشعة السينية التصوير المحوري الطبقي وأجهزة الرنين المغناطيسي النووي والأمواج فوق الصوتية وكاميرات البوزيتون بالمحاكاة الافتراضية لسطح الجسم، ويمكننا اعتبارا من هذه الأغشية الافتراضية إعادة تكوين أنماط رقمية للجسم بثلاثة أبعاد، وانطلاقا من ذلك تشكيل مجسمات صلبة تفيد الأطباء مثلا في الإعداد لعملية جراحية ولكل هذه الغلافات وكل هذه الأجسام الافتراضية تأثيرات حالية مهمة جدا في التشخيص الطبي وفي الجراحة، وفي المملكة الافتراضية لا يتسبب التحليل وإعادة تكوين الجسم بالألم ولا بالموت ويصبح الجلد المحاكى افتراضيا نفوذا وباستطاعتنا اليوم معرفة جنس الأطفال ووجوههم تقريبا قبل ولادتهم(ليفي، 2018، صفحة 32).

ويضيف الباحث COLINE GASCINIAK أن الواقع الافتراضي هو واقع معزز Réalité augmentée بمعطيات الواقع الحقيقي من خلال التقنيات المختلفة نسبيا، ويشير الواقع المعزز إلى تراكب العناصر الافتراضية في البيئة الحقيقية وقد يكون ذلك من خلال شاشة سواء كان هاتفا ذكيا أو جهازا لوحيا أو عدسات رقمية أو أي عناصر إضافية أخرى**(Gosciniak, 2018, p. 12)**.

إن التحولات المعاصرة في عالم " الافترضان " ليست مجرد تقاسم الافتراضي الواقعي الفضاء نفسه، لكنها جدلية تستنطق الذات الإنسانية المتمحورة والمتحورة في ذات التقنية المتفتتةوالمتشظية بالبرمجيات المعقدة التي هي حاصل نتاج العقل الإنساني، وهناك سؤال مهم يجب أن نطرحه في سياق الأبحاث التي قام بها Pierre Levy حول تمازج الافتراضي مع الواقعي دونما سطونة أحدهما على الآخر، هل نحن أمام أزمة تقنية تلغي الأنا لتعوضه بالآخر؟، هذا الآخر الذي هو في حقيقته من إنتاج الأنا، أو بصورة أكثر تبسيطا، هل تلغي تكنولوجيا الحاسبات الآلية الوجود الإنساني من خلال تفتيته وبعثرته في عالم التحولات الرقمية؟ أم تبقي على وجوده كعنصر ثاني يحرك ما هو افتراضي من خلال الاستعانة بالوجود الواقعي الفعلي للإنسان.

قد تبدو هذه التساؤلات فلسفية في بادئ الأمر، لكنها أسئلة مشروعة في ظل " الروبتة " أو " التقننة " التي بدأت تقلص تدريجيا وجود الكائن البشري لتعوضه بكائنات " محوسبة " " مروبتة " مجهزة بأعلى تقنيات الآلة التي توصل إليها العقل البشري، والتي تعتمد على تدفق المعلومات وسيرورتها ضمن فضاء تقني لا يعترف بالحدود، ولا الفواصل ولا يعترف بأي جغرافيا، لأننا انتقلنا اليوم من جغرافيا المسافات إلى جغرافيا التقنيات القائمة على تكنولوجيات غاية في التعقيد.

إن المعلوماتية المعاصرة ببرمجياتها وتجهيزاتها بعد أن كانت مستقطبة ب " الآلة " ومتشظية بالبرمجيات كالبلقان في الأمس القريب على حد تعبيرLevy تقوم بتفكيك الحاسوب لمصلحة فضاء اتصالات قابل للتصفح، فضاء شفاف محوره تدفق المعلومات المرتكزة على فضاء سيبراني تنشأ فيه تناصية تقنية أو نصوص تشعبية مكونة لافترضان عالمي يعتبر أساس الاتصالات المتشعبة.

6. تهجير النص في الفضاء السيبراني وثنائية الحدث والمضمون

1.6القراءة أو تفعيل النص:

يعتبر Pierre Levy النص شيئا افتراضيا ومجردا عن أي ركيزة خاصة، هذا الكيان الافتراضي يفعل بلغات وترجمات وإصدارات ونسخ وصور عديدة، وبتفسير النص وإعطائه معنى " هنا والآن " يتابع القارئ هذا التدفق من التفعيلات، أتكلم هنا عن التفعيل الذي يخص القراءة لا عن التحقيق بإجراء الخيار بين النصوص الممكنة.

ويضيف Levy قائلا: " إن الإصغاء والنظر والقراءة هي في النهاية عملية بناء للذات، وبالانفتاح على مجهود المعنى الآتي من الآخر، وبالعمل على النص وثقبه وتشويهه وتقطيعه وإدماجه بنا وتدميره، نساهم في كتابة مشهد المعنى الـذي يسكننا. يفيد النص هنا كناقل وركيزة أو حجة لتفعيل حيزنا الذهني الخاص**(ليفي، 2018، الصفحات 39-41)**.

إن فرضنة المعنى عبر سياقات فهم الآخر واديولوجياته ليست بالأمر الهين لأننا نحتاج إلى ترسانة من المعارف السائلة، أو اكتساب مهارات التلاعب بالمعاني المضمرة والمختفية ما وراء المعنى المتجسد في الكلمات وبناءاتها الفوقية. إن المعنى الذي يريد صاحب النص بلوغه فينا هو تحقيق ذلك السفر المعنوي، فأنت حينما تسافر بالمعاني في النص الافتراضي فإنك تمارس نوعا من التشعب الدلالي والانزياحي الممزوج بثقافة الآخر، هذه الثقافة التشعبية المعلبة التي تخلق معاني للشيء من اللاشيء، معاني الرسائل المعقدة المملوءة بالرموز التي تحيلنا إلى تقفي الأثر الدلالي أو ما يريده النص منا كقارئين، محللين ومفسرين للمعاني لا قارئين عابرين من أجل القراءة.

إن تفعيل المعاني نمط مفهومي تتحدد من خلاله بعض الأسس البنائية للذات القارئة عبر شاشات الحاسوب والتي تتيح للقارئ دخول الحدود والتحاقلاتالموقفية عبر أنظمة العالم السيبراني، التي تمكننا من الوصول إلى فهم وقراءة الآخر عبر الحقل المعنوي المتواجد في النص المكتوب والمشعب دلاليا وقرائياومفهوميا، وهنا يجب أن نطرح بعض التساؤلات المهمة في هذا الباب، هل يمكن مثلا للنص أن ينتج معنى أو مجموعة من المعاني المجردة بعيدا عن الذات القارئة أو القارئ الواقعي أو بصورة أخرى؟ هل النص هو المعنى أو ما ينتجه المعنى هو النص؟

وهنا يقول Levy لم يعد التأويل " أي إنتاج المعنى «يحيل حصريا إلى باطنية النية ولا إلى تراتبيات لمعان باطنية، وإنما إلى حس التملك المتفرد دوما عند المتصفح أو المتصفحة، ويبزغ المعنى من تأثيرات الملاءمة المحلية، ويظهر فجأة عند تقاطع مستوى رمزي

مهجر مع استهداف الفاعلية أو اللذة، لم أعد أهتم بما كان يفكر به مؤلف مجهول بل أطلب من النص أن يجعلني أفكر " هنا والآن "، إن افتراضية النص تغذي دكاني أثناء الفعل**(ليفي، 2018، صفحة 58)**.

2.6. نحو انطلاقة جديدة لفهم ثقافة النص التشعبي:

إذا كانت القراءة تكمن في تصنيف شبكة دلالية ما في انتقائها وتبسيطها وبنائها ودمج الأفكار المكتسبة في ذاكرة ما، فإن التقنيات الرقمية لإنشاء النص التشعبي والتصفح تشكل حتما نوعا من الافترضان التقني أو إظهار لعمليات القراءة، وبفضل الرقمنة يشهد النص والقراءة حاليا انطلاقة جديدة ترافقها طفرة عميقة.

ويمكننا أن نتخيل حسب رؤية Levy أن الكتب والصحف والمستندات الفنية والإدارية المطبوعة لن تكون غالبا في المستقبل سوى عروض مؤقتة وجزئية بنصوص تشعبية عبر الانترنيت، غنية ومليئة دوما بالحياة. واستنادا إلى أن الكتابة الأبجدية المستخدمة اليوم قد استقرت على ركيزة ساكنة ومن المبرر أن نتساءل إذا كان ظهور ركيزة دينامية قد يؤدي إلى خلق أنظمة جديدة للكتابة تقوم باستغلال هذه الإمكانيات الجديدة على أحسن وجه، فإن " الأيقونات " المعلوماتية وبعض ألعاب الفيديو والماكات التصويرية التفاعلية التي يستخدمها العلماء تمثل الخطوات الأولى نحو كتابة رمزية دينامية مستقبلية للأفكار.

هل يؤدي تكاثر الشاشات إلى نهاية الكتابة يتساءل Levy؟ كما يوحي بذلك بعض المتشائمين، من المرجح جدا أن تكون هذه الفكرة خاطئة، ومن المؤكد أن النص الرقمي الانسيابي والقابل لإعادة التشكيل بحسب الطلب والمنظم على نمط غير خطي، والذي يسري ضمن شبكات محلية أو عالمية يكون كل مشارك فيها مؤلفا وناشرا محتملا.

من المؤكد تماما أن هذا النص يختلف عن النص المطبوع التقليدي، ولكن لا ينبغي الخلط بين النص ونمط التوزيع الأحادي المتمثل بالمطبعة، ولا مع الركيزة الساكنة المتمثلة بالورق، ولا مع بنية الرسائل الخطية والمغلقة. إن ثقافة النص مع ما تتضمنه من تباين زمني في التعبير ومسافة نقدية في التفسير، وإحالات كثيرة ضمن عالم دلالي متداخل النصوص، مدعوة على العكس إلى الانتشار الهائل في فضاء الاتصالات الجديدة للشبكات الرقمية.

ولا يؤدي الافترضان حسب رؤية Levy إلى تدمير النص وإنما يجعله يتطابق مع جوهره الذي أزيحت الستارة عنه فجأة؛ لكأن الافترضان المعاصر ينجز مستقبل النص، وكأننا نخرج مما قبل التاريخ، وكأن مغامرة النص قد بدأت فعلا، وكأننا أخيرا قد اخترعنا الكتابة للتو**(ليفي، 2018، صفحة 59)**.

إن هذه القراءات المنبثقة عن التحليل الرمزي للدلالات المتولدة والمتحولة من عالم الافترضان والتي قدمها Levy تعبر عن أشياء متشعبة ومتداخلة فيما بينها، حيث تنتج المعاني دلالات تفسر بعضها بعضا في حدود المعطى الافتراضي، الذي هو في الحقيقة نتاج للتحاقل والتجاسر بين المعاني الحقيقية والمعاني الافتراضية ضمن فضاء سيبراني متعدد الأوجه والتحولات، ومن هنا وجب علينا أن نطرح تساؤلا عميقا من منطلق فلسفة الافتراضي كما بينها Levy . هل الفضاء السيبراني غرض في حد ذاته؟ أم معنى وجد لتفسير أنماط رقمية جديدة ومتجددة.

7. الفضاء السيبراني الافتراضي من حيث هو غرض

يمثل انتشار الفضاء السيبراني بلا شك آخر أهم الانبثاقات الكبيرة للأغراض المحرضة للذكاء الجماعي، ما الذي يجعل فضاء الانترنيت مثيرا للاهتمام لهذه الدرجة؟ إن نعته ب " الفوضوي " هو طريقة رديئة وخاطئة لوصف الأمور. إنه غرض مشترك دينامي يبنيه كل الذين يستخدمونه، أو على الأقل الذين يغذونه، وقد أصبح بالتأكيد متلازما مع ما ميز صناعته وانتشاره وتحسينه على يد المعلوماتيين الذين كانو في البداية المستخدمين الرئيسيين. إنه في الوقت نفسه غرض مشترك بين منتجيه ومستكشفيه كما ذهب إلى ذلك الباحث Huitéma.

يمنح الفضاء السيبراني أغراضا تتنقل بين المجموعات والذواكر المتقاسمة، والنصوص التشعبية للمجتمع لتأسيس جماعات ذكية، ومن هنا يجب أن نعرف أولا معنى الغرض ضمن سياقات وتمفصلات الافتراضي**(ليفي، 2018، الصفحات 159-160)**.

1.7. ما الغرض؟

يقول Levy أنه حان الوقت الآن لإبراز الميزات العامة للغرض الأنثروبولوجي، غرض – رابط أو وسيط الذكاء الاجتماعي – وينبغي لهذا الغرض أن يكون هو نفسه عند الجميع، ولكنه في الوقت نفسه يختلف من شخص إلى آخر بمعنى أن كل شخص يحتل بالنسبة إليه موقعا مختلفا، ويحدد الغرض العلاقات التي يقيمها الأفراد بعضهم ببعض أو يرسمونها، إنه يتجول فيزيائيا أو مجازيا بين أعضاء المجموعة، ويتواجد في الوقت نفسه أو بالتناوب بين أيدي الجميع، ونتيجة لذلك يستطيع كل واحد أن يسجل فيه فعله أو مساهمته أو حافزه أو طاقته. ولا يتيح الغرض جعل الكل إلى الفرد فحسب، ولكنه يشرك الفرد أيضا في الكل ويبقى الغرض مع ذلك خارجيا (مجسدا) لأنه ليس عضوا في المجموعة مثل الآخرين بالرغم من أنه قد وقع احتواؤه والسيطرة عليه. إنه يحرض إذا نوعا من التسامي الذي يدور باستمرار واضعا بشكل متناوب وعابرا كل موضع يتصل به في وضع العمل المركزي، ويشكل هذا الإلهام المتقاسم هذا المركز الهارب من مكان إلى مكان من دون شك أحد الاشكالات الرئيسية للمحايثة، وأخيرا لا يكون الغرض غرضا إلا عندما يمسك الجميع به، ولا تتشكل المجموعة إلا لتداوله.

ويقوم الغرض حسب Levy بدعم الافتراضي، يرسم الحالة ويحمل الحقل الإشكالي عقدة التوترات أو المشهد النفسي للمجموعة لكونه متوافرا في اللامكان، وعامل عبور متبادل من الخاص إلى العام أو من المحلي إلى الشامل، ولكونه لا يتلف بالاستخدام ولكونه غير حصري، وتتحين هذه الافتراضية ذات الركيزة الشيئية عادة بأحداث وبعمليات اجتماعية وبأفعال أو بعواطف الذكاء الجماعي (تمريرات الكرة، عروض رواية، عمليات شراء أو بيع، تجارب جديدة، روابط مضافة إلى الويب)، ولكن عوضا عن قيادة الأفعال يمكن الغرض أيضا أن يتداعى متحولا إلى شيء أو إلى موضوع أو إلى مادة أو أن يتشيأ في منطقة ما، ويمكن الكيان نفسه أن يكون شيئا أو غرضا بحسب الوظيفة التي نطلب منه القيام بها**(ليفي، 2018، الصفحات 161-162-163)**.

إن تداول الأغراض الجماعية عبر الفضاء السيبراني ينتج عن طريق العلاقة القائمة بين مجموعة من المتعاطين الحاليين أو المحتملين للوظائف التقنية لهذا الموقع أو ذاك، ولكن الشرط الأساسي الذي يجمع بين هاته المجموعات أن يكون هناك دافع وحافز يجمعهم، هذا الدافع أو الحافز هو ما نسميه الغرض، والغرض هنا هو وسيط بين الجماعي من خلال التسلسلات القاعدية والقانونية والاجتماعية، وبين الغرض الذي يحملنا على تعاطي التكتل المجموعاتي الذي يؤسس لنشوء حدث حقيقي تسعى الجماعة

إلى الاتفاق حوله وحول منهجية التعاطي معه، كونه موضوعا غرضيا أو موضوعا ناشئا يجب أشكلته ووضع حدود جدلية له حتى يكون قابلا للحركة والقبول داخل نسق المجموعة البشرية المتصلة والمتواصلة فيما بينها.

والأغراض هنا تتعدد اتجاهاتها على حسب نوع الغرض ودرجة الاتفاق حوله ودرجة الثقافة التي تمتلكها المجموعات المتصلة فيما بينها، والاتجاهات قد تكون علمية ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها، إذا الغرض هنا هو " الموضوع " ولا يمكن تصور " غرض مجرد دون موضوع محدد " لأن الغرض في محصلته تعبير عن الفكر الإنساني.

2.7. الغرض الإنساني:

يرى Levy أن افترضان " الآن " و " الهنا " عن طريق اللغة يوسع الزمان والمكان إلى ما هو أبعد من الفورية الحسية كما رأينا سابقا، ولكن هذا الافترضان لا يكتمل إلا مع بناء الغرض. غرض مستقل عن الإحساسات وأفعال الفرد، غرض يمكن تقاسم صورته المحسوسة أو استعماله أو تأثيره السببي أو مفهومه مع أشخاص آخرين، إن العالم الموضوعي الذي ينبثق من اللغة يتجاوز بكثير أي عالم مادي آخر، ولا يكون مسكونا إلا من الأشياء، هذا هو رهان اللغة: وجود عالم موضوعي يقوم بربط الكائنات وبتكوين الأشخاص في العملية نفسها.

وأخيرا تقوم التقنية بتحويل العمل والوظائف العضوية إلى الافتراضي، فالأداة والقطعة الفنية ليستا مجرد أشياء فعالة، وتنتقل الأغراض التقنية من يد إلى يد ومن جسم إلى جسم كشواهد، إنها نحرض على استخدامات مشتركة وتعتبر بمثابة نواقل للخبرة، ومراسلة للذاكرة الجماعية، ومحفزة على التعاون من أول أداة مصقولة الجانبين إلى المطارات والشبكات الرقمية، ومن أول كوخ إلى العواصم المزروعة بناطحات السحاب، والطرق السريعة.

تعتبر الأغراض التقنية والمنتجات الصناعية اللحمة التي تجمع الناس بعضهم إلى بعض، وتشرك العالم الفيزيائي في ذاتيتها الأكثر حميمية، وهكذا يختار الغرض الافترضانات الثلاثة الأساسية لتكون الإنسان، إنه مكون للإنسان كشخص اجتماعي وشخص إدراكي، وشخص عملي، إنه يعانق الذاتيات التقنية واللغوية والعلائقية ويوحدها، لذلك يقول Levy في هذا الصدد " إن ذاتيتنا تنفتح على لعبة الأغراض المشتركة التي تنسج الذكاء الفردي والذكاء الجماعي بحركة واحدة متناظرة، ومعقدة كما هو الأمر على وجهي قطعة قماش، حينما نطرز على كل وجه رقم الوجه الآخر الفاضح وغير القابل للمحو**(ليفي، 2018، الصفحات 164-165-166)**.

إن الغرض قبل تكونه في الذات الإنسانية هو قبل كل شيء عبارة عن تراكمات فرضتها الحالة التقنوية التي تمر بها البشرية المتطورة في زمن التسارع الرقمي في صورة الإفتراضي السببي أو عالم التقنيات المتطورة، فكلما تطورت الذات البشرية في تفكيرها الناشئ المنبثق من تطور التقنية زادت الأغراض وتشعباتها وتعقيداتها، فهي في الأخير محصلة للتذاوت المشترك بين الفواعل الإنسانية عبر الزمن الافتراضي التي تلتحم ضمن مؤشرات تتحدد معالمها في اللغة، والموضوع، والتقنية حيث تعتبر هذه البناءات الثلاثة من المرتكزات التي تدعم الفعل الغرضي في بعديه الإنساني والتقني، ومن هذا المنطلق أقر Levy أن هناك تأثيرا حقيقيا

ملموسا للافترضان للموضوع أو العالم الحقيقي الذي صوره في شكل غرض إنساني تشارك فيه كل المجتمعات المتصلة بعضها ببعض.

8. العالم الافتراضي كتحول من بين غيره من التحولات

إن الولوج في العالم الافتراضي لا يتم إلا عن طريق بوابة الواقع والمدعوم بالحقيقة وبالآنية المؤنسنة ضمن حدود التعاطف والتعاضد بين أعضاء الجماعة أو على حد تعبير الباحث " مصطفى حجازي " الذوبان في الجماعات على أساس العلاقات الدمجية، والتي يقصد بها تلك العلاقات التي تجمع بين الجماعات في خطوط الدفاع ضد أي مجهول أو خطر يهدد وجوده**(حجازي، 2005، صفحة 111)**. ولا تختلف هذه الفكرة عن الجماعة عن الفكرة التي قدمها الباحث والكاتب الأمريكي Howard – Raingold حيث قال "إنه عالم اجتماعي (العالم الافتراضي) ينفتح في الانترنيت، ليغدو فسيحا بمئات وآلاف بل ملايين من مستخدمي الشبكات"، وتنمو الشخصيات الخفية والحقيقية في جو اجتماعي، له مواصفاته الخاصة التي كثيرا ما تشبه مواصفات حقيقية في الحياة الطبيعية كما أنه أفرز نوعا خاصا من التمثل الاجتماعي على الشبكة، وأصبحت تتأسس العادات والتقاليد بشكل مختلف عن العالم الطبيعي (الحقيقي)، ويحدث تغير اجتماعي بتحد مستمر بين مشاركين، ومساهماتهم الاتصالية المتنوعة وبمجموعة من التغيرات المتشعبة ويعاد تكوينها بين الفينة والأخرى ويعاد تحديدها أيضا، كل ذلك كان يجري في نوع من التطور الاجتماعي المتسارع Social Evolution كما يقول Raingold.**(رحومة، 2008، صفحة 67)**

إن المعنى المراد إدراكه من خلال هذه التجليات والتحليلات النسقية والسياقية التي قدمها الباحث Raingold قريب إلى حد كبير من القراءات الإدراكية التي أوردها الباحث Levy، حيث أنها تشترك في عديد النقاط وتتقاطع في أصولها الفلسفية في معطى أساسي وهو أن العالم الافتراضي يستمد وجوده وقوته من العالم الحقيقي المتحول أساسا من منطلق الكينونة التي تعبر عن الوجود والحقيقة والإنسان، حيث يعتبر كلا الباحثين الإنسان مدار كل هذه الإشكالات بالاستناد إلى الأدلة القائمة على نشاطه ضمن الجماعات الاتصالية الني تنشأ في حدود وقواعد اللعبة التقنية التي تتأرجح بين عالمين اثنين أحدهما منتج للآخر دون أن يلغيه أو ينفي وجوده، إنهما العالم الافتراضي والعالم الحقيقي، ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة إلى المزيد من الدراسات والأبحاث حول موضوع التصادم المحتوم بين كل من الجماعات الافتراضية والجماعات الحقيقية، من المؤكد طبعا أنه ليس ذلك التصادم الانشطاري لكنه تصادم وتجاسر قد يضفي لمسة من الأمان والاطمئنان في أن العالم الحقيقي لا يمكنه أن يختفي مهما بلغت قوة الحوسبة الاجتماعية المبرمجة على التعاطي والإدمان المفضي إلى محاربة الحقيقة والواقع دون دراسة حركة التحولات في الذات الإنسانية الواعية.

وعلى هذا الأساس حاول الباحث Levy أن يجد حلا لهذه المعضلة البحثية، حيث قدم لنا تحليلا وقراءة سياقية لهذه الجدليات المتشعبة في أبعادها التقنوجماعية، وأطلق عليها تسمية " الاقتصادات الإدراكية " كون العالم الافتراضي ليس فضاءا للحروب الجماعية أو الفكرية أو الاتصالية، بل هو فضاء لتلاقي الأفكار وتمازج وتزاوج الثقافات وتطور العمليات الإدراكية في أبعادها المختلفة.

9. الاقتصادات الإدراكية

يقول Levy نستطيع في الحقيقة اعتبار المجموعات الإنسانية كـ " أوساط بيئية أو اقتصادية تظهر وتموت فيها أنواع من التمثيل أو الأفكار وتنتشر أو تتراجع وتتنافس أو تعيش في وئام، وتبقى محافظة على نفسها أو تتغير. ونحن لا نتكلم عن الأفكار، أو التمثيلات ، أو رسائل الاقتراحات الفردية فحسب، ولكننا نتحدث عن أنواعها تحديدا أي الأجناس الأدبية أو الفنية و أنماط نظم المعارف، وأنواع الحجج أو " المنطق " المتداولة، وأساليب الرسائل وركائزها، فالمجموعة الإنسانية هي مسرح لاقتصاد إدراكي أو بيئة إدراكية تتطور ضمنها أنواع من التمثلات.

إن الأشكال الاجتماعية والمؤسسات والتقنيات تجسد البيئة الإدراكية، ذلك أن بعض أنواع الأفكار أو الرسائل أوفر حظا من غيرها في الحدوث، ومن بين كل العوائق المقيدة للذكاء الاجتماعي تلعب الثقافات الفكرية المتمثلة في أنظمة الاتصال والكتابة والتسجيل ومعالجة المعلومة دورا رئيسيا.

في الواقع يلاقي بعض أنواع " التمثيل " صعوبة في البقاء أو حتى في الظهور في أوساط مجردة من بعض الثقافات الفكرية، بينما تزدهر في " بيئات إدراكية " أخرى، إن قوائم الأرقام والجداول والمعارف المنظمة على نمط نظامي مثلا لا يمكن نقلها بسهولة في الثقافات الخالية من الكتابة، وفي المقابل تتيح المجتمعات الشفهية " ترميز التمثيلات " على شكل روايات يمكن حفظها ونقلها بسهولة أكبر لغياب الركيزة الكتابية، وكمثال أكثر معاصرة فإن قسما متناميا من المعارف يعبر عنه اليوم " بالنماذج الرقمية التفاعلية " والمحاكاة، وهذا ما لم نكن نتخيله قبل عهد الحواسيب ذات الواجهات البيانية الحدسية، وتشجع أنماط التمثيلات التي تسود في هذا " الاقتصاد الإدراكي " كما يراه Levy أنماط معرفة مختلفة (أسطورة، نظرية، محاكاة) بأساليب ومعايير التقويم و " القيم " الخاصة بها، بحيث يؤدي تغيير التقنيات الفكرية أو وسائل الإعلام بشكل غير مباشر إلى تداعيات عميقة على الذكاء الجماعي**(ليفي، 2018، صفحة 121)**.

يضيف Levy في ذات السياق أن الثورة الصناعية العميقة في كل أشكالها وأدواتها ساهمت في جعل الرسائل الإعلامية السمعية البصرية في القرن العشرين (الإذاعة، التلفزيون، الأقراص، الأفلام)، تساهم في ظهور مجتمع العروض الفنية الذي قلب قواعد اللعبة سواء في المدينة أم في السوق (الدعاية، اقتصاد المعلومات و الاتصالات)**(ليفي، 2018، صفحة 121)**.

ومع ذلك يضيف Levy أنه من الضروري أن نؤكد أن ظهور الثقافات الفكرية أو انتشارها لا يحدد تلقائيا هذا النمط أو ذاك من المعرفة أو التنظيم الاجتماعي، فلنميز إذا بعناية بين أفعال تسبب وتحتم من ناحية، وأفعال تكيف وتتيح من ناحية أخرى. إن التقنيات لا تحتم بل تنظم الأشياء، إنها تفتح مجالا كبيرا لإمكانات جديدة يتم انتقاء عدد صغير منها فقط أو اصطفاؤه من اللاعبين الاجتماعيين ولو لم تكن التقنيات هي نفسها تكثيفات للذكاء الجماعي الإنساني، لكان بالإمكان القول إن التقنية تقترح وإن الناس يختارون.

10. الإنسان والافترضان وإمكانية التعايش

يقول الباحث الدكتور علاء عبد الرزاق السالمي في كتابه (تكنولوجيا المعلومات) أن الإنسان لا تحد طموحاته العلمية والتقنية حدود، فتراه كلما أمكنه تحقيق إنجاز كبير تراه يتطلع إلى المزيد من الإنجازات التي كانت تبدو له حتى الماضي القريب دربا

من دروب المستحيل، وكلما اقتحم سرا من أسرارها ظهرت له تحديات أعظم، هذا الصراع المرير بين الإنسان والطبيعة لا ينتهي سواء أكان مع الطبيعة و أسرارها أو مع مشاكل الحضارة وتقلباتها، وكان سلاحه دائما في مواجهة كل هذه التحديات هو العلم وتطبيقاته التقنية، إلا أن الغالبية من شعوب العالم يبدو أنهم ليسوا مهيئين بشكل كاف للتعايش والعمل في ظل هذه التقنيات**(السالمي، 2002، صفحة 10)**.

إن الأفكار التي قدمها الباحث علاء عبد الرزاق لا تختلف كثيرا عن الأفكار التي قدمها Levy حول مسألة التعايش مع مستجدات الحاسبات الإلكترونية والواقع الجديد الذي تشكل من خلالهما فالأول يشير إلى الهوة السحيقة بين مجتمعات منتجة للتقنية ومتمكنة فيها وبين شعوب بعيدة كل البعد عن الامتدادات والتقانات الحديثة للذكاء الاصطناعي، وحتى الذكاء الجماعي المحصور في بيئة علمية واحدة هي في الحقيقة ملك لمن يصنعها ويعلم كل أسرارها وكيفية تشغيلها والتحكم فيها.

يقول Levy متسائلا: هل يجب علينا أن نقاوم الافترضان، وأن نتشبث بالمناطق والهويات المهددة؟ هذا هو الخطأ القاتل الذي ينبغي تجنبه بشكل خاص، ذلك أن النتيجة لا يمكن أن تكون بعد فترة إلا تفجر العنف الشرس، عوضا عن ذلك يجب علينا مرافقة الافترضان وأن نسند إليه معنى في الوقت نفسه، الذي نبتكر فيه فنا جديدا في الضيافة. ويجب أن يصبح أعلى ميسم أخلاقي عند البدو في عصر التهجير الكبير، وفي الوقت نفسه يجب أن نواجه الافترضان الفاسد الذي يقصي ويسقط الأهلية بافترضان يعيد التأهيل، ويقوم بالضيافة والإدماج.

ويضيف Levy بقوله المشهور عن الافترضان وعلاقته بالواقع " أيتها الكائنات البشرية في هذا المكان وكل مكان، يا من جرفتكم حركة التهجير الكبيرة، يا أيها المزروعون في الجسم التشعبي في الإنسانية، والذين يعكس نبضكم نبضاته العملاقة، يا من قفزتم أحياءا في الافتراضي، يا من تم أخذكم في هذه القفزة الهائلة التي أنجزها الجنس البشري إلى ما قبل تدفق الوجود، " نعم " في قلب هذه الزوبعة الغريبة إنكم في بيوتكم، أهلا بكم في المسكن الجديد للجنس البشري، أهلا بكم في دروب الافتراضي "**(ليفي، 2018، صفحة 185)**.

ويواصل Levy دفاعه عن آرائه حول العالم الافتراضي مؤسسا بذلك نزعته العقلية الخالصة التي يراها بعيدة كل البعد عن التعصب الفكري أو التشدق بآراء رقمية لا وجود ولا وجوه لها في الحقيقة البينية، فيقول في معرض كتابه حول العالم الافتراضي " أحب ما كان هشا وعابرا واستثنائيا وشهوانيا، وأقدر الكائنات والأماكن الفريدة التي لا يمكن تعويضها والأجواء المرتبطة دوما بمواقف ولحظات، إنني على قناعة بأن قسما رئيسيا من الأخلاق يقوم بكل بساطة على تقبل الوجود في العالم وعدم الهروب والتواجد هنا للآخرين وللذات، غير أن موضوع هذا الكتاب كان الافترضان ولذا عالجت موضوع الافترضان ولكن هذا لا يقتضي نسيان الوجوه الأخرى للكائن، وأحث القارئة والقارئ على عدم إهمالها إذا اقتضى الأمر ذلك طبعا، ولأن الفعلي ذو قيمة كبيرة على وجه الحق، فقد وجب علينا في عجل أن نفكر وأن نؤقلمالافترضان الذي يزعزعه، إنني أعتقد يضيف Levy أن المعاناة من تحمل الافترضان من دون فهمه يعد أحد الأسباب الأساسية للجنون والعنف في وقتنا الحاضر.

إن عددا من المفكرين الفخورين بدورهم " النقدي " يعتقدون اليوم أنهم يقومون بعمل مشرف بنشرهم البلبلة والذعر في موضوع الحضارة الناشئة، أما بالنسبة إلي فقد أردت من خلال العمل على ترجمة المفاهيم والاندماج الثقافي وبنائها أن أرافق بعض معاصري في جهودهم كي نعيش عيشة أقل خوفا واستياء، وأردت حينما رسمت خريطة الافتراضي أن أمد بها نظرائي من أولئك الذين يحاولون بصعوبة كبيرة مثلي أن يصبحوا لاعبين مؤثرين**(ليفي، 2018، الصفحات 181-182)**.

إن القراءة المعرفية والسلوكية التي قدمها Pierre Levy حول العالم الافتراضي وعلاقته بالبنية القاعدية و أفعال الواقع، تتسم بكثير من العقلانية والتحدي فهو يعتبر من الباحثين القلائل على مستوى العالم الذين يدافعون عن الافترضان وعدم شيطنته لأنه في المحصلة إنتاج إنساني فيه ما فيه وعليه ما عليه، فالإنسان ضمن هذه الاعتبارات والسياقات يمتلك قدرات عقلية وفكرية وتقنية تؤهله في بناء عمليات الاختيار بين ما يتناسب ورغباته وتوجهاته وحتى اديولوجياته وبين ما يتعارض مع هويته و ثقافاته، فالعالم الافتراضي ليس شرا مطلقا إذا ما تم استغلاله بالشكل الإيجابي وفي أمور تخدم الإنسان والإنسانية دون المساس بثقافة وثوابت الشعوب التي تعتبر خطا أحمر لا يمكن التعدي عليه.

إن العالم الافتراضي هو قبل كل شيء مزيج متكامل بين الجهد الإنساني والأتمتةAutomatisation التي وجدت كحتمية للتقانة العلمية Technoscience التي وصل إليها العقل البشري، هذا المزيج بين الآلة والإنسان حول الكرة الأرضية إلى غرفة صغيرة أو حيز زماني يمكن المتصل من الولوج والتحول في رحاب الافتراضي دون عوائق جغرافية ولا سياسية ولا ثقافية، أو ما يسميه الخبراء التقنيون " الزمانية العامة " Temporalité Publique. فأنت تتصل في زمنك الآني الذي يتداخل مع زمكانية الآخر دون حدود فاصلة بينك وبينه، فتتلاقى الثقافات وتتمازج الأفكار وتدخل الذوات الإنسانية في عمليات الذوبان والانصهار مع بعضها البعض، لذلك لو رجعنا قليلا إلى تحليلات Levy فإننا نجد أنها لا تتحدث عن عمليات التواصل فحسب بل تتحدث عن الاقتصاد والسياسة والفن والفلسفة والعلاقات الإنسانية، كل ذلك في نطاق الافتراضي المرتبط بالإنترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي وأسواق البورصات والمتاجر الإلكترونية وغيرها، إننا لا نتحدث عن " عالم موازي "، ولكننا نتحدث عن عالم مكمل للعالم الواقعي الوجودي، فمهما بلغت درجة تقدم الافتراضي فإنه لن يلغي بأي شكل من الأشكال الطابع الإنساني المؤسس له والمحرك لكل عملياته وخدماته التفاعلية.

إن العالم الافتراضي ليس مجرد عمليات تواصلية عبر الإنترنيت أو عبر منصات التواصل العالمي الاجتماعية لأن هذه الأخيرة جزء يسير من عملياته الأعمق من هذه التصورات، فالعالم الافتراضي هو الرقمنة التي دخلت في كل مناحي الحياة، خاصة في الدول المتطورة تقنيا وعلميا.

11. العالم الافتراضي: أدوار جديدة ووظائف متعددة

على الرغم من قوة الأدلة والبراهين التي قدمها لنا Levy حول مسألة العالم الافتراضي وعلاقته بالعالم الواقعي ومحاولته تبرئة كل ما هو سيبراني من التهم التي توجه له من قبل الخبراء في شتى المجالات والتخصصات إلا أنه أغفل الكثير من المؤشرات الخطيرة التي باتت تهدد الهويات الاجتماعية والأخلاقية خاصة لدى الشعوب الضعيفة تقنيا ومعرفيا وذلك نتيجة الكم الهائل من الأفكار

الموجهة وغير البريئة التي تحمل في طياتها الكثير من الحروب المبطنة التي تسعى إلى الهيمنة الثقافية على الآخر الضعيف الذي لا يمتلك قوة الردع أو المواجهة في ظل تنامي قوة هذا العالم، هذا العالم الجديد الذي اتخذت منحنياته التصادمية مع الشعوب والثقافات في الارتفاع وسط مطالب عالمية من الحد من خطورته واتساع رقعته يوما بعد يوم، خاصة مع وجود هوة رقمية بين دول تصنع وتخترع وبين دول تستهلك وتستورد المنتجات الرقمية والبرمجية دون معرفة كل ما يتعلق بها أو تصفيتها من شوائب الاديولوجيات العابرة للقارات و العقول.

صحيح أن العالم الافتراضي الذي صوره لنا Pierre Levy يمتاز بخصائص تقنية سهلت عمليات التبادل العالمي في مجالات التكنولوجيا والاقتصاد والسياسة والطب والعلوم والفنون والفلسفة وغيرها، لكنه تجاهل في المقابل مشكلة أقل ما يقال عنها أنها كارثية ألا وهي " المضامين الافتراضية المؤدلجة " أو بصورة أخرى مضامين إعلامية واتصالية موجهة وغير بريئة تحمل في ثناياها مواد مسمومة موجهة لتدمير العقول وتستهدف فئات عمرية بعينها خاصة الشباب من خلال ما يسمى عبثا بالمواد الترفيهية التي لا تتماشى في غالبيتها مع أفكار وتوجهات المجتمعات الموجهة لها.

12. الافتراضي بين الثقافة والترفيه

قد يتساءل الكثيرون حول سر الهجومات التي يتلقاها Pierre Levy حول أفكاره عن العالم الافتراضي والأمر فيه شيء من التحليل العقلاني الذي لا يخضع للشخصنة أو الأدلجة، فالذين يختلفون مع Levy حول تأثير الافترضان على العالم الواقعي لا ينكرون الجوانب المشرقة في عالم التقنيات الحديثة التي أفرزها العالم الافتراضي لكنهم في المقابل ينتقدون إهماله خطورة بعض المضامين التي يؤسس لها هذا العالم الافتراضي خاصة في مجال الإعلام والاتصال وبالتحديد مجالات الترفيه التي اتخذت طرقا أكثر ضبابية واديولوجية من غيرها من المجالات الأخرى.

في هذا السياق يشير الباحث (حلمي خضر ساري) بقوله " يجب التأكد هنا على أمر في غاية الأهمية يتعلق بالتأثيرات الضمنية للترفيه الذي تقوم به بعض الوسائل الاتصالية على ثقافة الشباب خاصة ".

صحيح أن الشباب كانوا قد استثمروا في الترفيه عن أنفسهم بقتل الفراغ والملل الذي يعانون منه ومع ذلك يجب على الدارسين توخي الحرص والحذر من الفهم الخاطئ لهذه الوظيفة (الترفيهية) التي يقوم بها الإنترنيت في حياة الشباب وواقعهم الثقافي.

لا شك أن الترفيه عن النفس هو حاجة أساسية من حاجيات الفرد، ومطلب من مطالب نمو شخصيته ومع ذلك يجب التأكيد على أن برامج الترفيه التي يشاهدها الشباب في العالم الافتراضي عبر الإنترنيت ليست ذات مضامين حيادية و " نظيفة " تسعى إلى اشباع حاجاتهم وتطوير شخصياتهم، إنها مضامين مشبعة بدلالات اديولوجية وأهداف ضمنية ذات تأثيرات بعيدة المدى عليهم، لا تقل في خطورتها عن التأثيرات التي تحدثها المضامين الاديولوجية للمواد الإعلامية والثقافية الأخرى التي تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع، وربما تتفوق عليها.

ويتفق هذا الرأي الذي قدمه لنا الباحث (حلمي خضر) مع التصورات التي قدمها لنا كل من (هربرتشللر) و(رسل نيومان) و (ملفندفلر) حول المضمون الاديولوجي للترفيه وأهدافه في المجتمع حيث أكد هؤلاء الباحثون على أن الرسائل الكامنة في الشكل

الترفيهي لا تقل في خطورتها وكثافتها عن تلك الرسائل السياسية الكامنة في الشكل الترفيهي المقدم عبر وسائل الإعلام الأخرى ويؤكد (دفلر) أن الترفيه الذي تعرضه وسائل الاتصال جماهيريا في المجتمع الغربي لا يقع خارج العملية الاجتماعية والاقتصادية لذلك المجتمع، فصناعة الترفيه في الوقت الحاضر في هذا المجتمع وضخامة الاستثمارات في هذا المجال من أهم الصناعات التي يقوم عليها النظام الاقتصادي العالمي الجديد، ومن أهم الصناعات التي تنتشر وتمرر من خلالها قيم المجتمع الأمريكي وثقافته أوما أصبح يطلق عليه لاحقا "سياسة الأمركة ".

ويؤكد الباحث العربي (أديب خضور) أن المضامين الاديولوجية للمواد الترفيهية والتي يتعرض لها الشباب وبخاصة الإنترنيت والتلفزيون لها تأثيرات عديدة يكاد يصعب حصرها، إذ يؤدي هذا المضمون إلى انسلاخ الفرد عن واقعه اليومي المعاش وإلى حالة من اللامبالاة والتبلد الحسي، إضافة إلى أنه يعمل على تكريس السلبية وقتل الإبداع والعزوف عن المشاركة في القضايا المجتمعية التي تتطلب منه أن ينخرط فيها(**سامي، 2005، الصفحات 224-225**).

13. خاتمة:

إن قراءة Pierre Levy للعالم الافتراضي وعلاقته مع العالم الواقعي امتازت في الكثير من الأحيان بالاستغراق والتبجيل حينا وبالمرافعات الدفاعية حينا آخر، وقد نتفق معه في نقاط معينة لكننا نختلف معه في نقاط متعددة، صحيح أن شيطنة الافترضان وتحويله إلى جريمة في حق الإنسانية هو تحامل زائد عن أصول النقد العلمي والفني لنوع من أنواع المعطيات التقنية والتكنولوجية التي أفرزتها ثورة تطور العقل البشري في العصر الحديث، فالعالم الافتراضي تحول من مجرد تقنية تخدم البشرية إلى أداة اديولوجية تسخرها بعض الدول المتطورة قصد خدمة أغراضها الخفية التي تسعى من خلالها لفرض نوع معين أو مقصود من أشكال الهيمنة الثقافية والسياسية والاقتصادية الفكرية وغيرها، وهذا ما صرح به عديد الباحثين من التيار الحداثي التقني، زيادة على بروز تيارات مناهضة لكل ما ينتجه العالم الافتراضي من محتويات خاصة المرتبطة بحقل العمليات الاتصالية والتواصلية والتي تحاول من خلالها بعض الشركات العاملة في مجال الصناعة الرقمية والإعلامية، القضاء على ثقافات الشعوب وجرها إلى مستنقع اللامكان واللازمان ضمن حدود الفراغات الفاعلة والمنمطة التي تحتل فضاءات الحقيقة الواقعية لتزرع أوهام الافترضان الكاذب.

لقد أفصح Pierre Levyعن الكثير من معتقداته التقنية التي يتبناها والتي نتفق فيها معه كون الافترضان ساهم في عمليات التبادل الاجتماعي والعلمي بين الشعوب ولا ننكر أن الافترضان ساهم في تقليص الفوارق الاتصالية داخل المجتمعات وأتاح هذا العالم كذلك في إبراز الأشكال الجديدة للحقيقة المدفوعة أصلا من دينامية العالم الافتراضي، لكن المفارقة العجيبة والتي لم يتقبلها الكثير من الباحثين سواء في الدول الغربية والعربية تجاهله بشكل غريب ومريب الآثار المترتبة عن هذا العالم وتأثيره الواضح على العالم الواقعي أو لنقل تحويره للحقيقة الواقعية وتحويلها قصرا وعمدا إلى افترضان أعمى يتداخل مع سيرورة الحياة الواقعية والحقيقية في شتى بناءاتها الفوقية.

إن هذا التجاهل لا مبرر له في نظرنا وهذه الاستماتة في الدفاع عن الافترضان تدعونا إلى الاستغراب إذ لا يمكن تجاهل الحمولة الاديولوجية والثقافية التي يحملها العالم الافتراضي ضد العالم الواقعي، إنه عبارة عن حرب ناعمة من نوع آخر، حرب

ثقافية وسيبرانية تسعى إلى تفتيت الثقافات والموروثات الإنسانية واستبدالها بثقافات رقمية وسط إكراهات الآخر والافترضان الحديث.

إننا اليوم أمام حتمية المواجهة ضد كل ما هو مدمر لثقافات الشعوب المقهورة مواجهة من نوع آخر، حيث لا يمكن الرجوع إلى الوراء أو الاستسلام لإكراهات التقانات الحديثة، فالعالم الافتراضي يدعونا إلى أن نقف عنده مطولا لا من أجل انتقاده بل من أجل الحيلولة دون الذوبان في موضوعاته واديولوجياته التي لا تعرف الحدود والفواصل ،وحتمية المواجهة لا تعني الدخول معه في صدامات حضارية ،بل تكون المواجهة بالطرق العقلانية والعلمية ،فنأخذ من هذا الوافد التقني ما ينفعنا وندافع عن ثقافاتنا وموروثاتنا الحضارية ضد كل ما ينتجه من ثقافات موازية لا تخدم مجتمعاتنا ولا تعزز إمكانية تواجده في هذا العالم الرقمي.

قائمة المراجع:

Bastien, S. (2006). *l'existence humine comme oeuvre ouverte.* France, France: horizons philosophique.

Gosciniak, C. (2018). *Réalité vituelle et réalité augmentée en bibliothèque.* Paris: Enssib.

JOLIVALT, B. (1996). *la réalité vertuelle* (éd. 2). France, France: presse universitaire de France.

Noél, D. (1999). la réalité virtuelle de la réalité virtuelle. *traitement du signale, 16*(01), 90.

THEYS, J. (2005). *techniques territoires et sociétés n°37.* France: Centre de prospective et de ville scientifique.

بيير ليفي. (2018). *عالمنا الافتراضي ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟* (رياض الكحال، المترجمون) المنامة، البحرين: هيئة البحرين للثقافة والآثار.

حلمي خضر سامي. (2005). *ثقافة الإنترنت، دراسة في التواصل الاجتماعي* (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

صلاح السروري. (2012). *المثاقفة وسؤال الهوية* (الإصدار 1). مصر، مصر: الكتبي للنشر والتوزيع.

علاء عبد الرزاق السالمي. (2002). *تكنولوجيا المعلومات* (الإصدار 2). سلطنة عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

علي محمد رحومة. (2008). *علم الاجتماع الآلي* (الإصدار 1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصطفى حجازي. (2005). *التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور* (الإصدار 9). المغرب: المركز الثقافي العربي.